السلفية وتشويه العابثين

د. عبد العزيز بن ندى العتيبي

لم يستطع أحد أن يقتلع الإسلام من جذوره - ولن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً- عندما كانت المواجهة صريحة للقضاء عليه، فلم يكن لهم ما أرادوا عندما قاموا بإعلان معاداة دين الإسلام ومحاربته اسماً ورسماً جهاراً؛ قال تعالى:﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣٢-٣٣]؛ لذا سأتكلم على الدور المشبوه الذي يمارسه بعض ادعياء السلفية الذين يمارسون تشويه السلفية ودين الإسلام.

١- السلفية هي الإسلام.. والإسلام هو السلفية:

الإسلام هو الإسلام، فلا يعرف الإسلام بالإسلام الجهاديّ، ولا يوصف بالإسلام العلمي، فهو سنة النبي ﷺ فلا يزيغ عن هذا الطريق إلا هالك، وأن السلفية هي الإسلام، والإسلام هو الدين والإيمان والعبودية لله، فأعلاها وأفضلها وأرفعها لا إله الا الله، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق[١].

٢- السلفية شعار الاعتقاد السليم والعمل الصحيح:

السلفية اسم عام يشمل كل اعتقاد وعمل، عبادة ومعاملة، أخلاق وسلوك، ولقد كان القدوة والسلف في هذا الأمر كلّه، هو صاحب الرسالة، وحامل الوحي: النبي ﷺ، وأصحابه الكرام

(١) البخاري (٩)، مسلم (٣٥).

الذين نصروا دعوته، واقتدوا بهداه، ونشروا دينه، وبلغوا سنّته، ولم يحيدوا عن أثره أو يخالفوا أمره؛ عن العرباض بن سارية؛ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله! أن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد الينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»[٢].

والسلفية شعار لأهل السنة ظهوراً وتميزاً عن كل مخالف، وليست من باب التزكية بل إعلان التمسك بالحق ومتابعة سبيل المؤمنين، فمن قال: أنا على السلفية، أو أنا سلفي، أو أنا على مذهب السلف لا ينكر عليه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فأن مذهب السلف لا يكون الا حقًّا»[٣].

٣- ما خبر السلفية العلمية، والسلفية الجهادية، والسلفية القتالية؟!

بينا أن الإسلام لا يعرف بالإسلام العلمي، ولا يوصف بالإسلام الجهادي، ولا ينبغي أن يطلق عليه الإسلام الحركي، وهو اصطلاح المثقفين المعاصرين، وكذلك الحذر من تسميته بالإسلام السياسي؛ فإنه لمز المعادين وقول المخالفين؛ قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد ورد ذكر الإسلام في كتاب الله عز وجل في مواضع كثيرة مطلقاً من غير قيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]؛ فإذا كان لا يصح أن يقال الإسلام

(٢) «المسند» (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) في «السنن» بإسناد صحيح.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

العلمي؛ فلا يصح تركيب السلفية العلمية، ولا تقييدها بقيد، إلا إذا كان ما أرادوه معنى آخر!!، وإذا كان لا يقال: الإسلام الجهادي؛ فلا يصح تركيب السلفية الجهادية، إلا أن أرادوا معنى مغايراً عن الإسلام، وإذا كان لا يصح القول بالإسلام السياسي، فيصبح مفهوم السلفية السياسية مفهوماً يخالف مفهوم الإسلام، هذا على التسليم أنهم موافقون لنا، ويذهبون إلى أن الإسلام النقي هو السلفية، والسلفية الصافية هي الإسلام.

ومما تقدم نعرف:

١- أن امتثال الإسلام مطلق من غير قيد.

٢- والاتباع مطلق من غير قيد.

٣- وأن السير على نهج السلف مطلق بلا قيود.

٤- واصطلاح السلفية يطلق من غير قيود، والسلفية هي الإسلام في شموله الذي بعث به سيد الأولين والآخرين رحمة من رب العالمين، وما ضل من ضل من الطوائف والفرق، وما جرى من محن وفتن وويلات على أمة الإسلام، إلا بسبب الانحراف عن عموم الإسلام، وانتزاع النصوص، وتجزئة الشرع والدين، فذهبت كل طائفة وفرقة بفهم وجزء من الشرع، وجعلته أصولاً ومرجعاً يرجع المريدين إليه والعمل عليه، ويتحاكم الخلق إليه، وهكذا!! فهمت نصوص الشرع مفرقة دون جمع بينها، والله المستعان.

٤- الفرق بين السلفية المطلقة والسلفية العلمية أو السياسة أو الجهادية:

السلفية التي ذكرها أهل العلم واصطلحوا عليها؛ تعني: الإسلام بعمومه ورخصه وعزائمه، وتعني: الدقة والجد في الاقتداء، والعمل بالنقل من النصوص الشرعية، والآثار الصحيحة، وطرح الرأي والاستحسانات العقلية، فطريق النقل واحد من عند الله، وعقول البشر مختلفة وشتى، فهل يستويان مثلاً، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:

٢٩]، لا يستوي التلقي من طريق واحد معصوم، والتلقي من جهات متفرقة غير محصّنة بالعصمة، قائمة على الاختلاف والتفاوت، وصدق الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أ- السلفية طريقة العلماء الأجلاء:

فاعلم -رحمك الله- أن هذه الأسماء المستحدثة من سلفية علمية أو سياسية أو جهادية ما أنزل الله بها من سلطان، فلا يغتر بها إنسان من عوام المسلمين ممن يحسنون الظن بالسلفية وطريقة العلماء الأجلاء، ولا يضرنا ما أفسدته هذه الطرق والدعوات على الناس في أمور الدين والدنيا، وذلك بالانتساب اليها، أو استغلالها لهذا الشعار العظيم (السلفية) الذي يشق الأرض طولاً وعرضاً بنقائه وصفائه، معتقدين أنهم بهذا التشويه صرف الناس عن الحق الى الباطل الذي يدعون اليه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، فالواجب علينا العمل بهمة عالية، والاقتداء بسلف الأمة في كل شؤون الحياة، والاهتمام بأمور الشرع، واتباع السنة في الصغير منها والكبير، وكما جاء باللفظ الشرعي «أعلاها وأدناها» بلا قيود ومن غير حدود، إلا ما جاء الشرع ببيان حده، وكشف عن ضوابطه وقواعده.

ب- تقييد مفهوم السلفية تشويه لمعنى الإسلام:

وما تلك الممارسات المنحرفة والجرائم البشعة وسفك الدماء المعصومة إلا نوع من جنس أعمال الخوارج، بل الخوارج في أوج مذهبهم لم يحصدوا ويفسدوا كما أفسد أولئك المعاصرون، ويشاهد العالم المسلم والكافر عبث هؤلاء الذين أوقعوا الأمة في ويلات، وجروا على المسلمين الآمنين أذى علمه القاصي والداني، ووصلوا إلى درجة تشويه الإسلام وباسم السلفية.

ت- إياك والسلفيات المزورة:

اعلموا إخواني رحمكم الله أن الانتساب إلى الإسلام والسلفية، وكونه مازال في دائرة الإسلام لا يمنحه ذلك

البراءة من أفعاله وجرائمه، ومعلوم أنه اتخذ شعار السلفية مستغلاً نقاء الاسم وطهارته ليدرك جرائمه، وهذا التزوير لن يشفع له، فالسلفية منه براء، بل سلفه الخوارج والعابثين، فكيف وقد سمَّى نفسه -أو سُمِّي- بالسلفية الجهادية؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، وأخذ يسفك بيديه دماء المسلمين الآمنين؛ قال تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ث- السلفية تعصم الدماء وتحفظ الحرمات:

ألا يوقف من يسمون أنفسهم بالسلفية الجهادية ويردعها النصوص الشرعية من الكتاب والسنة:

١- قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

٢- وعن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، إلا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[٤].

٣- وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»[٥].

ولذا قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»[٦].

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، ماله، وعرضه، ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[٧].

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

(٤) البخاري (١٧٤١) ومسلم (١٦٧٩)
(٥) البخاري (٦٨٦٢).
(٦) البخاري (٦٨٦٣).
(٧) مسلم (٢٥٦٤).